فإن راعتك فكرة جديدة فى مظهرها حين تنجم، أو استبطأت فكرة جديدة أنت ترى وجوبها وتنادى بها فظن بنفسك الظنون، وراجع أمرك فى روية وتدبر، ليتجلى لك على غير شك أنه لا عجلة فيما حدث أمس، ولا بطء فيما لم يحدث اليوم. فلكل شأن مهيئاته ودوافعه، ولطبائع الأشياء سلطانها الغلاب!...

والفكرة الجديدة ربما تسترسل فى ثورة عشواء مدمرة، كما وقع فى الثورة الفرنسية التى هبت تعلن حقوق الإنسان المدنية، وفى الثورة الروسية التى انبعثت تشرع للإنسان حقوقه الاقتصادية، ففى هذين المثلين تدفق شلال الفكرة عارما لا يبالى التخريب والتدمير، فهو يهدف إلى الرى والإخصاب، ولكنه يجور بفيضانه حتى يبلغ حد الإغراق، وعلى الرغم مما يبدو فى ذلك من شذوذ وإفراط، فإنه يمثل ظاهرة طبيعية لها مسوغاتها وملابساتها فى عهد الثورة الفرنسية وثورة الروس.

بيد أن الفكرة الجديدة على أية حال لا تعتم أن ينجاب عنها الشذوذ والإفراط، فتسير بالحياة فى قصد واعتدال، وفق المنهج الذى تحتمه البيئة ومقتضيات العيش، مما يوفر الخير للناس، ويحقق المصلحة للمجموع، فإن نجاح الفكرة وازدهارها رهن بما تحمل فى طواياها من صلاحية، والعالم يمضى صوب الرقى والتقدم